

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

Joining what God has ordered to be joined to "Family relationships and Morals "

د. أحمد حامد الشرقاوي*

جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية، ahmed.hamed.sh111@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/02/26 تاريخ القبول: 2019/10/13 تاريخ النشر: 2019/12/30

ملخص:

يتطلع هذا البحث إلى بيان موضوع: "صلة ما أمر الله به أن يوصل" من خلال سورة الرعد، وذلك بتعريف الصلة، وربطها بموضوع السورة، والآيات، والفائدة من ذلك، ثم تقسيم الصلة إلى آصرة الدين، وآصرة الأخلاق.

فأما آصرة الدين: (وفيها وصل النبي ﷺ في أصحابه وآل بيته، ووصل القول بالعمل). آصرة الأخلاق: (وفيها وصل الوالدين بالبر، ووصلة الأرحام). ويكون البيان لكل تلك المسائل وفق المنهج العلمي على ما أتاحت به النصوص الشرعية من القرآن، والسنة، والآثار، وأقوال العلماء، في بيان تلك الحقائق .

الكلمات المفتاحية: الصلة؛ القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية؛ آصرة الدين؛ آصرة الخلق.

Abstract:

The research seeks to clarify joining what God has ordered to be joined to through Surah Ar-Ra'd as defines the word Relationship and joining it to the objects of the surah . The concept of Relationship is divided into: 1- RELIGION 2- MORALS.

The research tackles RELIGION, only, which is divided into :Faith and Worship.

A) FAITH includes joining believe in Allah to believe in prophet Mohammed, believe in Qur'an ,obedience of the guardian and loyalty to Muslims

* المؤلف المرسل

B) WORSHIP includes joining believe in Allah to good deeds, administration of Sharia and sincerity in say and deed.

The clarification to all these details should be according to the scientific methodolgy available in quaran and purified sunnah and what is narrated by Imams.

Keywords: Faith; Holy Qur'an; Gurdian; Loyalty and God's decree.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً قيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

إنّ تمام الحياة وقيامها لا يكون إلا بالصلة: صلة العبد بخالق، وصلة العبد بمن حوله، وصلة الأرض بالسماء، فالقطيعة وحدة وعذاب، ولذا أمر ربنا في كتابه بالصلة وحذر من الوحدة في أكثر من موضع في كتابه، فقال سبحانه: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ" (الرعد:25)، ولعظمة موضوع الصلة، وأهميته، وسعة معناه عما هو معلوم لكثير من المسلمين، واتصال ذلك بواقع المسلمين اليوم: من القطيعة الواضحة عند كثير من المسلمين، بسبب جهلهم بحقيقة دينهم، ووقوع كثيرا من المشاكل في الأمة. ومن أجل إصلاح العلاقة بين العبد وربّه، وتحسين الأخلاق في المجتمع المسلم، توكلت على الله بالبحث في هذا الموضوع والوقوف على بعض النتائج فيه علّ الله أن ينفعنا به، وينفع بها الخلق فيهدتوا إلى الحق المبين، نسأل الله التوفيق والسداد والقبول.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة في هذا الموضوع إلى:

- 1- تحديد معنى -ما أمر الله به أن يوصل- وجمع الأقوال فيها والوقوف عليها بشي من التفصيل .
- 2- الأمر بالتواصل المجتمعي، وبيان فضائل صلة الرحم وتحريم القطيعة، بل هي من الكبائر .
- 3- بيان خطورة مخالفة القول العمل، والتحذير من ذلك.

أسباب الدراسة: نبعت فكرة هذه الدراسة، لعدة أسباب، منها:

1- غفلة كثير من المسلمين بمعنى قول ربنا "ويصلون ما أمر الله به أن يوصل"، وبما تقتضيه هذه الآية .

2- القطيعة الواضحة- عند كثير من المسلمين- في العلاقة بينهم وبين بعضهم البعض، بسبب جهلهم بحقيقة دينهم .

3- غياب القدوة- الذي يوافق قوله فعله- في المجتمع المسلم.

هذا وغيره مما دعاني إلى البحث في هذا الموضوع والوقوف على بعض النتائج فيه علّ الله أن ينفع بها الخلق فيهدتوا إلى الحق المبين .

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، حيث تتبعت ما ورد في هذه الآية عند المفسرين، وكذلك الآيات المجاورة لها سابقة أو لاحقة، والبحث عن موضوع الصلة في القرآن الكريم كله، قدر استطاعته . وقد راعيت ما يأتي:

1- التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة عن طريق جمعها من كتب التراث.

2- جمع الأقوال والآراء حول هذا الموضوع والعمل على حسن تنسيقها، وإتمام ما نقص منها، وإيضاح ما غمض منها.

3- عزو الأقوال إلى قائلها والرجوع إلى مصادرها من أجل الاستفادة منها.

4- تخرج الأحاديث من مصادرها الأصلية، مع ذكر الحكم عليها - إن أمكن - إن كانت في غير الصحيحين.

5- التعقيب على موضوعات الدراسة وتحليلها بما يتناسب مع الواقع الذي نعيش فيه، ومن ثمّ الوصول على النتائج المرجوة من البحث.

الدراسات السابقة:

كل ما كُتِبَ في هذه الآية إما من قبيل التفسير التحليلي، باعتبارها آية من آيات سورة الرعد، وإما من قبيل التفسير الموضوعي للسورة بأكملها، أو الوقوف على موضوع صلة الرحم فقط. أما الوقوف مع موضوع الصلة، وربطها الآية بالسورة وموضوعها، وإظهار ما يجب وصله في كتاب الله، لم أقف على أحد سبقني إلى الكتابة فيه دراسة مفصلة - حسب اطلاعي -.

أهداف البحث: الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما المقصود بوصل ما أمر الله به أن يوصل ؟
- كيف أتعرف على هذه الآية وما تحمله من أسرار ؟
- ما أمر الله به أن يوصل ؟ وما أهمية معرفة ذلك؟
- ما واجب الفرد المسلم بعد دراسته لتلك المواطن ؟

وقد تكونت هذه الدراسة -في رأي- من: مقدمة، تمهيد، ثلاثة مباحث، وخاتمة .

المقدمة: وهي التي نحن بصدددها.

التمهيد: التأصيل لمفهوم الوصل .

المبحث الأول: تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ".

المبحث الثاني: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ فِي آصرة الدين.

المبحث الثالث: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ فِي آصرة الخلق .

وأخيراً الخاتمة: وشملت أهم نتائجه، ثم فهرس المصادر.

وأسأل الله الكريم عموم النفع بها في الدنيا والآخرة .

التمهيد: مفهوم مصطلح: "الوصل":

وفي هذا التمهيد أقوم بتعريف الوصل.

الوصل لغة: (وصل ل):

أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه⁽¹⁾. وَصَلْتُ الشيءَ وَصْلاً وَصِلاً وَوَصِلْتُ ضِدُّ الْهَجْرَانِ. الْوَصْلُ خِلَافُ الْفَصْلِ، وَصَلَ الشيءَ بِالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصْلاً وَصِلاً وَوَصَلَهُ وَوَصَلَهُ: كِلَاهُمَا لِأَمَّةٍ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ﴾ [القصص: 51]، أَي وَصَلْنَا ذِكْرَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَقَاصِيصَ مِنْ مَضَى بَعْضُهَا لِبَعْضٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَاتَّصَلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ لَمْ يَنْقَطِعْ⁽²⁾. وَوَصَلَكَ اللَّهُ وَالشَّيْءُ وَإِلَيْهِ وَصُلاً وَوَصِلاً وَوَصِلاً: بَلَغَهُ وَانْتَهَى إِلَيْهِ. وَوَصَلَهُ وَصْلاً وَوَصِلَهُ وَوَصَلَهُ مُوَاصَلَةً وَوَصَالاً: كِلَاهُمَا يَكُونُ فِي عَفَافِ الْحُبِّ وَدَعَارَتِهِ. وَالْوَصْلَةُ بِالضَّمِّ: الْإِتِّصَالُ وَكُلُّ مَا اتَّصَلَ بِشَيْءٍ فَمَا بَيْنَهُمَا: وَصْلَةٌ. وَالْمَوْصِلُ: مَعْقَدُ الْحَبْلِ فِي الْحَبْلِ. وَالْأَوْصَالُ: الْمَفَاصِلُ أَوْ مُجْتَمَعُ الْعِظَامِ وَجَمْعُ وَصْلٍ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ لِكُلِّ عَظْمٍ لَا يُكْسَرُ وَلَا يَخْتَلِطُ بغيرِهِ⁽³⁾. وَالْوَصْلُ: وَصَلَ الثُّوبَ وَالْخَفَ. وَيُقَالُ: هَذَا وَصَلَ هَذَا، أَي مَثَلَهُ. وَبَيْنَهُمَا وَصْلَةٌ، أَي اتِّصَالٌ وَذَرِيعَةٌ. وَكُلُّ شَيْءٍ اتَّصَلَ بِشَيْءٍ فَمَا بَيْنَهُمَا وَصْلَةٌ، وَالْجَمْعُ وَصْلٌ. وَالْأَوْصَالُ: الْمَفَاصِلُ⁽⁴⁾. وَالْإِتِّصَالُ: اتِّحَادُ الْأَشْيَاءِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ كاتِّحَادِ طَرَفِي الدَّائِرَةِ، وَبِضَادِّ الْإِنْفِصَالِ، وَيَسْتَعْمَلُ الْوَصْلُ فِي الْأَعْيَانِ، وَفِي الْمَعَانِي. يُقَالُ: وَصَلْتُ فَلَاناً. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [البقرة: 27]، يُقَالُ: فَلَانٌ مُتَّصِلٌ بِفُلَانٍ: إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ، أَوْ مَصَاهِرَةٌ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ" [القصص: 51] أَي: أَكْثَرْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ مَوْصُلاً بَعْضُهُ بِبَعْضٍ⁽⁵⁾.

(1) معجم مقاييس اللغة/أبو الحسين أحمد بن فارس (115/6)، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ.

(2) لسان العرب/محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(726/11) مادة - وصل، دار صادر - بيروت، ط. 1.

(3) القاموس المحيط/محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (1380/1)، فصل الواو - مادة (وصل).

(4) الصباح في اللغة - الجوهري - موافق (120/5).

(5) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (ت. 502هـ)، (872/2)، المحقق:

صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط. 1، 1412 هـ.

ويقال وصل حبله بفلان أي: بره وأعطاه مالا ورحمه: أحسن إلى الأقربين إليه من ذوي النسب والأصهار وعطف عليهم ورفق بهم وراعى أحوالهم. وصل المكان وإليه وصولاً ووصلة وصلة: بلغه وانتهى إليه. (الموصل) مكان الوصول . ويقال وصل إلى بني فلان: إذا انتمى إليهم وانتسب، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنَ النِّسَاءِ: 90﴾. (أوصله) الشيء وإليه الشيء: أنهاه وأبلغه إياه⁽¹⁾.

وخلاصة المعنى اللغوي: من الوصل، والبلوغ، والقربة، والإحسان، والإتحاد. بمعنى وصل إلى الشيء، وبلغ الهدف، وصلة القريب، والإحسان إليه، ووصل الشيء بالشيء اتحد معه.

الوصل اصطلاحاً:

ضَمُّ شَيْءٍ لِشَيْءٍ. وَضِدُّهُ الْقَطْعُ. وَيُطْلَقُ بِحَازًا عَلَى الْقُرْبِ وَضِدُّهُ الْهَجْرُ. - ويلاحظ أن المعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي كثيراً، وهذا يؤكد أن معنى الوصل أو سع من صلة الرحم، بل يشمل صلة العبد بربه، وبنبيه ﷺ، وبدينه، وبأتمته، ثم جميع الخلق، حتى الحيوان - واشتهر بِحَازًا أَيْضًا فِي الْإِحْسَانِ وَالْإِكْرَامِ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ، صِلَةُ الرَّحِمِ، أَيْ الْإِحْسَانُ لِأَجْلِ الرَّحِمِ، أَيْ لِأَجْلِ الْقَرَابَةِ الْآتِيَةِ مِنَ الْأَرْحَامِ مُبَاشَرَةً أَوْ بِوَسْطَةِ النَّسَبِ الْجَائِي مِنَ الْأُمّهَاتِ. وَأُطْلِقَتْ عَلَى قَرَابَةِ النَّسَبِ مِنْ جَانِبِ الْأَبَاءِ أَيْضًا لِأَنَّهَا لَا تَحُلُو عَالِبًا مِنْ اشْتِرَاكِ فِي الْأُمّهَاتِ وَلَوْ بَعْدَ (2).

(1) المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (1037/2)، دار الدعوة، تح.: مجمع اللغة العربية.

(2) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت. 1393هـ)، (127/13)، الدار التونسية للنشر، 1984هـ. أنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت. 885هـ)، (329/10)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

والخلاصة: أن الوصل فيه أصل إيمانيّ يتمثل في صلة النبي ﷺ في آل بيته وصحابته الكرام، ووصل القول بالعمل، وأصل أخلاقيّ يتمثل في صلة الوالدين والأرحام، وذلك: "بالتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا. فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر والأخوة"⁽¹⁾. وربما اتسع معنى الصلة إلى رعاية جميع الحقوق الواجبة للعباد الثابتة بسبب أخوة الإيمان كما قال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10]، "وَيَدْخُلُ فِي هَذِهِ الصَّلَةِ إِمْدَادُهُمْ بِإِصْصَالِ الْحَيَّرَاتِ وَدَفْعِ الْآفَاتِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَشُهُودُ الْجَنَائِزِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ عَلَى النَّاسِ وَالتَّبَسُّمُ فِي وُجُوهِهِمْ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ"⁽²⁾.

المبحث الأول: تفسير قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ":

المطلب الأول: السورة التي ذكرت فيها الآية:

سورة الرعد: وقع الخلاف هل هي مكية أم مدنيّة: فقول مكيّة في قول مجاهد وروايته عن ابن عباس ورواية علي بن أبي طلحة وسعيد بن جبّير عنه وهو قول قتادة. وعن أبي بشر قال: سألت سعيد بن جبّير عن قوله تعالى: "وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ": أهو عبد الله بن سلام؟ فقال: كيف وهذه سورة مكيّة. وعن ابن جرير وفتادة في رواية عنه وعن ابن عباس أيضاً: أنّها مدنيّة، وهو عن عكرمة والحسن البصري، وعن عطاء عن ابن عباس.

(1) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي (ت. بعد 1158هـ)، (2/1786)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تح. د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (542م)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ/1979م، تح.: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

(2) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت. 606هـ)، (34/19)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. 3، 1420هـ.

وَجَمَعَ السُّيُوطِيُّ وَغَيْرُهُ بَيْنَ الرُّوَايَاتِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ يَعْنِي قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَافَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿شَدِيدُ الْمَحَالِ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرَّعد: 43]. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَدِينَةَ فِيهَا كَثِيرٌ، وَكُلُّ مَا نَزَلَ فِي شَأْنِ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَزْدَ بْنِ رَبِيعَةَ فَهُوَ مَدِينِي⁽¹⁾. وقول ثابت: أَنَّهَا مَدِينَةٌ إِلَّا آيَتَيْنِ مِنْهَا فَإِنَّهُمَا نَزَلَتَا بِمَكَّةَ، وَهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُورَتُ بِهِ ... فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الرعد: 31-32]⁽²⁾. ورجح صاحب - التحرير والتنوير - أنها مدنية، فقال: وَالَّذِينَ جَعَلُوهَا مَدِينَةً عَدُّوْهَا فِي النُّزُولِ بَعْدَ سُورَةِ الْقِتَالِ وَقَبْلَ سُورَةِ الرَّحْمَنِ وَعَدُّوْهَا سَابِعَةً وَتَسْعِينَ فِي عِدَادِ النُّزُولِ. وَإِذْ قَدْ كَانَتْ سُورَةُ الْقِتَالِ نَزَلَتْ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَوْ عَامَ الْفَتْحِ تَكُونُ سُورَةُ الرَّعْدِ بَعْدَهَا. وَعُدَّتْ آيَاتُهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ مِنَ الْكُوفِيِّينَ وَأَرْبَعًا وَأَرْبَعِينَ فِي عَدَدِ الْمَدِينِيِّينَ وَخَمْسًا وَأَرْبَعِينَ عِنْدَ الشَّامِ⁽³⁾. وقال السيوطي: وَالَّذِي يَجْمَعُ بِهِ بَيْنَ الْإِخْتِلَافِ: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَاتٍ مِنْهَا⁽⁴⁾. ونختم بقول الألوسي: مما يجعلني أقول: لولا أَنَّ الأدلة على مدنية السورة أقوى لقلت بأنها مكية - كما رجح ذلك بعض المفسرين⁽⁵⁾ - ولكني أقول إِنَّ السورة من المدني الذي يشبه المكي في أسلوبه وموضوعاته.

والله تعالى أعلم.

(1) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، (76-75/13).

(2) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت. 1250هـ)، (76/3)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط. 1، 1414هـ.

(3) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، (76/13).

(4) الإتيقان في علوم القرآن/عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت. 911هـ)، ص. 80، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م.

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي (ت. 1270هـ)، (80/7)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. 1، 1415 هـ.

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

مناسبتها لما قبلها: أنه سبحانه قال فيما تقدم: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:105]، فأجمل سبحانه الآيات السماوية والأرضية ثم فصل جل شأنه ذلك هنا أتم تفصيل، وأيضا أنه تعالى قد أتى هنا مما يدل على توحيده عز وجل ما يصلح شرحا لما حكاه عن يوسف عليه السلام من قوله: ﴿أَرْيَاكَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39]، وأيضا في كل من السورتين ما فيه تسليّة له ﷺ هذا مع اشتراك آخر تلك السورة وأول هذه فيما فيه وصف القرآن كما لا يخفى⁽¹⁾.

مناسبتها لما بعدها: ختم ربنا تبارك وتعالى سورة الرعد بالحديث عن القرآن وافتتح سورة إبراهيم بالحديث عن القرآن، في الأولى أمرٌ للنبي ﷺ بالتوكل على الله، وفي الثانية أمرٌ لإخوانه من الأنبياء بالتوكل على الله، في الأولى بالحديث عن رفع السماء بغير عمد وسخر الشمس والقمر، وفي الأخرى عن نفس الأمر كذلك...⁽²⁾. فالحديث في السور الثلاث (يوسف الرعد إبراهيم) يدور عن موضوعات السور المكية. مما يجعلني أقول: لولا أنّ الأدلة على مدنية السورة أقوى لقلت بأنها مكية - كما رجح ذلك بعض المفسرين⁽³⁾ - ولكني أقول إنّ السورة من المدني الذي يشبه المكي في أسلوبه وموضوعاته.

والله تعالى أعلم.

(1) تفسير الألوسي، (80/7) .

(2) يرجع إلى تفسير روح المعاني، (169/7)، وكذلك تفسير المراغي، (122/13) .

(3) تفسير الألوسي، (80/7) .

المطلب الثاني: موضوع سورة الرعد، مناسبة الآية لموضوع السورة، مناسبة البحث لموضوع الآية والسورة:

سورة الرعد رغم اختلاف العلماء في مكيتها ومدنيتها إلا أنّ سمات القرآن المكي واضحة عليها وعلى ألفاظها:

1- هي سورة عنيت بأصول العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله والبعث والجزاء، وبينت معنى الألوهية والعبودية، وأن الله تعالى وحده هو الرزاق والحي والمميت، وهو الوحيد المستحق للعبادة.

2- أنّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، الدالة على صدق محمد ﷺ ورسالته، فقد تحدى الله تعالى الكفار والمشركين، لما ادعوا أن هذا القرآن من عند محمد ﷺ وليس من عند الله تعالى أن يأتوا بمثله، أو عشر سور مثله، ثمّ بسورة من مثله ففجزوا، وفي هذا دليل على بيان منزلة القرآن الكريم، ومُثْمُوهُ من أيّ عيب أو نقص، لأنه تنزيل من ربّ العالمين.

3- وذكرت السورة بعض صفات الله تعالى وآثار قدرته ورحمته، مع عرض الأدلة العقلية على وجود الله ووحدانيته⁽¹⁾. من مظاهر الحق في الكون لتقرر كمال قدرة الله وعجيب خلقه في الكون كله وكيف يدبر الأمر ويفصل الآيات ويمد الأرض ويغشي الليل النهار فالله هو الحق وقرآنه حق وإتباعه حق.

4- ختام السورة تشهد للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة وأنه مرسل من عند الله، وأكد الحق سبحانه وتعالى كل هذا بالأدلة، وختمه بالتحدي الظاهر للمشركين.

وفي موضوع آيات البحث في السورة الكريمة: ذكر ربنا تبارك وتعالى نموذجين لا يستويان أبداً، نموذج استحباب آيات الله ونداءه سبحانه، ونموذج آخر أعرض واستكبر، ومن سمات النموذج الأول أنّهم:

1- يوفون بالعهد ولا ينقضون الميثاق. 2- يصلون ما أمر الله به أن يوصل.

(1) التحرير التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم/ اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د/ مصطفى مسلم(563/3)، جامعة الشارقة 1431هـ، 2010م.

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

3- يخشون ربحهم. 4- يخافون سوء الحساب...، وهؤلاء وعدهم ربنا تبارك وتعالى

بقوله: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد:23].

أما النموذج الآخر فمن سماتهم أنهم: 1- ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه.

2- يقطعون ما أمر الله به أن يوصل. 3- يفسدون في الأرض. وهؤلاء توعددهم ربنا تبارك

وتعالى بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:25].

فالسورة كلها تدور في إثبات قضية التوحيد من الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ واعتقاد

اليوم الآخر والتصديق بأن القرآن الكريم كلام الله. وموضوع البحث "وصل ما أمر الله به أن

يوصل" يدور في نفس الفلك، يبدأ من وصل الإيمان بالله عز وجل بالإيمان بالنبي محمد ﷺ

ثم الإيمان بالملائكة والكتب والرسل والقدر واليوم الآخر، واتباع جماعة المسلمين وعدم

الخروج عليهم، وموالات المؤمنين والبراءة من المشركين والكافرين، وإقامة شرع الله في الأرض

بإتمام العبادات، وإصلاح الأخلاق والمعاملات، بصلة الأرحام ووصل القول بالعمل

الصادق.

قال الشيخ البقاعي: والمقصود من هذه السورة هذه الآية: ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد:1]، وهي وصف

المنزل بأنه الحق وإقامة الدليل عليه⁽¹⁾. فلقد أُقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق

الرسول ﷺ فيما أوحى إليه من أفراد الله بالإلهية والبعث وإبطال أقوال المكذبين فلذلك

تكررت حكاية أقوالهم خمس مرات موزعة على السورة بدءاً ونهاية. ومهد لذلك بالتنويه

بالقرآن وأنه منزل من الله. وصفه بأنه الحق في نفسه⁽²⁾.

(1) تفسير نظم الدرر، (262/10).

(2) التحرير والتنوير، (76/13)، في ظلال القرآن، (350/4).

المطلب الثالث : تفسير الآية، بلاغيات، ودلالات:

أولاً / التفسير:

في ثانيا السورة الكريمة يعرض ربنا تبارك وتعالى لمثل ضربه للمؤمن والكافر ليتذكر ويتعظ بذلك أولوا الألباب بالعهد الذي بينهم وبين رحمهم تبارك وتعالى، وهو أول صفات المؤمن: الوفاء بعهد الله الذي أخذه عليهم، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى...﴾ [الأعراف:172]، وكذا قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٠) وَأَنْ أَعْبُدُونِي...﴾ [يس:60-61]، ومن تمام وفائهم بالعهد أن لا ينقضوا المواثيق التي أخذت عليهم من رحمهم ومن عبادته، فالتعريف في الميثاق للجنس. وَابْتَدِئَ مِنَ الصَّفَاتِ بِهَذِهِ الْخُصْلَةِ لِأَنَّهَا تَنْبِئُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ أَصْلُ الْخَيْرَاتِ وَطَرِيقُهَا، وَلِذَلِكَ عُطِفَ عَلَى يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ قَوْلُهُ: وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ تَحْذِيرًا مِنْ كُلِّ مَا فِيهِ نَقْضُهُ⁽¹⁾. وهؤلاء بصفاتهم هذه يصلون ما أمر الله بوصله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ لِأَنَّ الْفِظَ ظَاهِرٌ فِي صِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الطَّاعَاتِ⁽²⁾، قال الحسن: المراد صلة الرسول ﷺ بِالْإِيمَانِ بِهِ⁽³⁾. وَمُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ فِي الْجِهَادِ⁽⁴⁾. وصل قرابته ﷺ، وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعبادة مرضاهم، وشهود جنائزهم.

(1) التحرير والتنوير، (126/13).

(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن فرح القرطبي، (ت. 671هـ)، (310/9)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الثانية، 1384هـ - 1964 م.

(3) تفسير روح المعاني، (134/7).

(4) تفسير الرازي، (34/19).

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب، حتى الهرة والدجاجة. وعن الفضيل بن عياض أنّ جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان. قال: اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أنّ العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين⁽¹⁾.

وَحَاصِلُ الْكَلَامِ: أَنَّ قَوْلَهُ: "الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ": إِشَارَةٌ إِلَى التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ": إِشَارَةٌ إِلَى الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ⁽²⁾. فَأَمْرُ الصَّلَةِ عَظِيمٌ جَدًّا يَشْمَلُ صِلَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَنَبِيِّهِ، وَدِينِهِ، وَأُمَّتِهِ، وَجَمِيعِ الْخَلْقِ، فَمَنْ قَصَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِوَاصِلٍ حَتَّى يَتِمَّ الصَّلَةُ بِجَمِيعِ أَحْوَالِهَا. وَمَا يَحْمِلُ الْعِبَادَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةً تَحْمِلُهُمْ عَلَى فِعْلِ مَا وَجَبَ، وَاجْتِنَابِ مَا لَا يَحِلُّ. وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَهُوَ الْإِسْتِقْصَاءُ فِيهِ وَالْمُنَاقَشَةُ لِلْعَبْدِ، فَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ، وَمَنْ حَقَّ هَذِهِ الْحَيْفَةُ أَنْ يُحَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُحَاسِبُوا⁽³⁾.

ولما كان الوفاء بالعهد في غاية الشدة على النفس، قال: "والذين صبروا": أي على طاعات الله وعن معاصيه: "ابتغاء وجه ربهم": أي المحسن إليهم - وكأنه ذكر الوجه إثارة للحياء وحثاً عليه -، "وأقاموا الصلاة": صلة بربهم، "وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية": لأن الإنفاق من أعظم سبب يوصل إلى المقاصد، "وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ": أي ويدفعون الشر بالخير، ويجازون الإساءة بالإحسان فهو كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63]، أو أَنَّهُمْ إِذَا أَتَوْا بِمَعْصِيَةٍ دَرَّوْهَا وَدَفَعُوهَا بِالتَّوْبَةِ.

(1) الكشف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل، أبو القاسم محمود الزمخشري جاز الله 538هـ، (252/2)، دار الكتاب العربي بيروت، ط. 3، 1407هـ.

(2) تفسير الرازي، (34/19).

(3) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، 1250هـ (94/3)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب دمشق، بيروت، ط. 1، 1414هـ.

فمن التزم بهذه الشروط التسعة كانت لهم النتيجة الطيبة وهي: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عِشَى الدَّارِ ۖ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ (٢٢) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۖ﴾ [الرعد: 22-24]: الدَّارُ الْآخِرَةُ وَعُقْبَاهَا الْجَنَّةُ لِلْمُطِيعِينَ، وجنات عَدْنٍ: وَسَطُ الْجَنَّةِ وَقَصَبُهَا، وَسَفْقُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، قَالَ ﷺ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ^(١). وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ فِيهَا مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَهْلِ وَالْأَبْنَاءِ، مَنْ هُوَ صَالِحٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَتَرَرَ أَعْيُنُهُمْ بِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُ تُرْفَعُ دَرَجَتُهُ الْأَدْنَى إِلَى دَرَجَةِ الْأَعْلَى، مِنْ غَيْرِ تَنْقِصٍ لِذَلِكَ الْأَعْلَى عَنْ دَرَجَتِهِ، بَلِ امْتِنَانًا مِنَ اللَّهِ وَإِحْسَانًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطُّور: 21]، وَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِلتَّهْنِئَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَعِنْدَ دُخُولِهِمْ إِيَّاهَا تَفْدُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مُسَلِّمِينَ مُهَنِّئِينَ لَهُمْ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِنْعَامِ، وَالْإِقَامَةِ فِي دَارِ السَّلَامِ، فِي جَوَارِ الصَّادِقِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ الْكَرَامِ^(٢).

ثانياً/ البلاغيات:

لقد بدأ الحق سبحانه الحديث في الآيات بوصف من لم يؤمن بكتابه بالعمى، (وما يتذكر إلا أولوا الأبواب)، وهذا فعلاً العمى الحقيقي، لأن من لم يرى الشمس في وضوح النهار فالعيب في عينه وقلبه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ وَشَفَّاءُ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ...﴾ [فصلت: 44].

(١) أخرجه البخارى، (3/1028)، رقم (2637)، وأخرجه أحمد (2/339)، رقم (8455)، وابن حبان (10/471)، رقم (4611).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (774هـ) (4/451)، تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. 2، 1420هـ. نظم الدرر (3/94).

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

1- أُطْنِبَ فِي التَّعْبِيرِ بِطَرِيقَةِ اسْمِ الْمُوصُولِ "مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ": لِمَا فِي الصَّلَاةِ مِنَ التَّعْرِيزِ بِأَنَّ وَاصِلَهَا آتٍ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ لِيَنْتَقِلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى التَّعْرِيزِ بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَطَعُوا أَوَاصِرَ الْقَرَابَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَسَاءُوا إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ، وَكَتَبُوا صَحِيفَةَ الْفُطَيْعَةِ مَعَ بَنِي هَاشِمٍ. - فكأن الأصل في غير القرآن أن يقال: (بما أمر الله بوصله)، ولكنه عدل إلى اسم الموصول ليدل على أن الأمر هو الله تعالى، فهو حقيق بأن يمثل أمره سبحانه، ومن خالف يكون أتى باباً عظيماً من الإثم.

وَفِيهَا الشَّنَاءُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ يَصِلُونَ الْأَرْحَامَ وَلَمْ يُقَطَّعُوا أَرْحَامَ قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا عِنْدَ مَا حَارِبُوهُمْ وَنَاوَوْهُمْ. فلمدح بالإمتثال لأمر الله، فهم الذين قدروا الله حق قدره.

2- جَاءَتْ الصَّلَاتُ: "الَّذِينَ يُؤْفُونَ"، "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ"، وَمَا غُطِفَ عَلَيْهِمَا بِصِغَةِ الْمُضَارِعِ فِي تِلْكَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ لِإِفَادَةِ التَّجَدُّدِ كِنَايَةً عَنِ الْإِسْتِمْرَارِ⁽¹⁾. فالوصل لا يكون في وقت دون وقت، وإنما يكون في كل وقت بما يناسب ذلك الوقت. وقال: "به أن يوصل" دون "يوصله": ليكون مأموراً بوصله مرتين، ويفيد تجديد الوصل⁽²⁾. فالفعل المضارع يفيد التجدد والإستمرار، فهم واصلون وقت الرخاء والشدة.

3- جَاءَتْ صَلَّةٌ: "وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ"، وَمَا غُطِفَ عَلَيْهَا، وَهُوَ: "وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا": بِصِغَةِ الْمُضِيِّ لِإِفَادَةِ تَحَقُّقِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ هُمْ وَتَمَكُّنِهَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ تَنْوِيهَا بِهَا، كَأَنَّهَا سَجِيَّةٌ وَطَبِيعَةٌ فِيهِمْ، وَلِأَنَّهَا أُصُولٌ لِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، فَهِيَ الْمَعِينَةُ الْحَقِيقِيَّةُ عَلَى الصَّلَاةِ، وَهَذَا أَصْدَقُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَتَحَقَّقُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ - مِنَ الشَّدَةِ، وَالْإِيذَاءِ، ... - إِلَّا بِدَافِعِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ - سبحانه وتعالى -، وَطَمَعاً فِيمَا عِنْدَهُ، وَخَشْيَةً مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ .

(1) أنظر تفسير التحرير والتنوير (124/13).

(2) أنظر تفسير نظم الدرر (329/10).

4- أُعِيدَ أُسْلُوبُ التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَى الصَّلَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: "وَيَذَرُونَ بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةَ": لِإِقْتِضَاءِ الْمَقَامِ إِفَادَةَ التَّجَدُّدِ، إِمَاءً إِلَى أَنَّ تَجَدُّدَ هَذَا الدَّرَجَةِ مَا يُخَرِّصُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ النَّاسَ عُزُضَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ عَلَى تَفَاوُتٍ، وَلأنَّهُمْ مُعْرَضُونَ أَيْضاً لِلْإِذَاءِ مِنَ الْآخَرِينَ، فَوُصِفَ لَهُمْ دَوَاءٌ ذَلِكَ بِأَنْ يَتَّبِعُوا السَّيِّئَاتِ بِالْحُسْنَاتِ⁽¹⁾.

5- الخشية والخوف فرق الراغب بينهما فقال: الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم.

ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، وقال بعضهم: الخشية أشد الخوف، لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية أي يابسة، ولذا خصت بالرب في هذه الآية. وفرق بينهما أيضاً بأن الخشية تكون من عظم المخشي وإن كان الخاشي قويا، والخوف من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرا يسيرا. قال الإمام ان المراد من يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ أَنَّهُمْ يَخَافُونَهُ خَوْفَ مَهَابَةٍ وَجَلَالَةٍ زَاعِمًا أَنَّهُ لَوْلَا ذَلِكَ يَلْزَمُ التَّكَرُّارُ وَفِيهِ مَا فِيهِ⁽²⁾. وقد جمع سبحانه بين وصل ما أمر الله به أن يوصل، وخشيته - سبحانه -، وخوف سوء الحساب في آية واحدة مما يدل بقوة على صعوبة الصلاة، وقلة الواصلين. واشترط سبحانه في الصبر ابتغاء وجه الله، لأنه لا يُكْمَلُ الصبر - فيؤدي الصلاة كاملة، وينفق ماله بالليل والنهار - سرّاً وعلانية، ويدفع السيئة بالحسنة ويتبعها بالعمل الصالح -، إلا هؤلاء، ولذا تسلّم عليهم الملائكة عند دخولهم جنة عرضها السماوات والأرض. نسأل الله الرزق.

6- قَوْلُهُ: "ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ"، فِيهِ دَقِيقَةٌ: وَهِيَ أَنَّ الْعَاشِقَ إِذَا ضَرَبَهُ مَعْشُوقُهُ، فَرُبَّمَا نَظَرَ الْعَاشِقُ لِذَلِكَ الضَّارِبِ وَفَرِحَ بِهِ، فَقَوْلُهُ: ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ مَحْمُولٌ عَلَى هَذَا الْمَجَازِ، يَعْنِي كَمَا أَنَّ الْعَاشِقَ يَرْضَى بِذَلِكَ الضَّرْبِ لِإِتِّدَادِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ مَعْشُوقِهِ، فَكَذَلِكَ الْعَبْدُ يَصْبِرُ عَلَى

(1) أنظر تفسير التحرير والتنوير، (128/13).

(2) أنظر تفسير روح المعاني للألوسي، (134/7).

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

الْبَلَاءِ وَالْمُخَنَةِ، وَيَرْضَى بِهِ لِاسْتِعْرَاقِهِ فِي مَعْرِفَةِ نُورِ الْحَقِّ وَهَذِهِ دَقِيقَةُ لَطِيفَةٍ⁽¹⁾. كأن المسلم لا يشعر بتعب ومشقة من الطاعة بل يشعر باللذة والحلاوة.

7- أُعِيدَ اسْمُ الْمُؤْصُولِ هَذَا وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُؤْصُولَةِ، للدلالة على أَنَّهَا صِلَاتُهَا خِصَالٌ عَظِيمَةٌ تَقْتَضِي الْإِهْتِمَامَ بِذِكْرِ مَنْ اتَّصَفَ بِهَا، وَلِدَفْعِ تَوَهُّمٍ أَنَّ عُقْبَى الدَّارِ لَا تَتَحَقَّقُ لَهُمْ إِلَّا إِذَا جَمَعُوا كُلَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ.

8- اجْتِلَابُ اسْمِ الْإِشَارَةِ: "أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ"، لِتَنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِمْ جَدِيدُونَ بِمَا بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ أَجْلِ الْأَوْصَافِ الَّتِي قَبْلَ اسْمِ الْإِشَارَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5].

9- وَتُذَمُّ الْمَجْرُورُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْقَصْرِ، أَيُّ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ لَا لِلْمُتَّصِفِينَ بِأَضْدَادِ صِفَاتِهِمْ، فَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ. وَإِضَافَتُهَا إِلَى الدَّارِ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمُؤْصُوفِ. وَالْمَعْنَى: لَهُمُ الدَّارُ الْعَاقِبَةُ، أَيْ الْحُسْنَةُ. وَالْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ مَحْدُوفٌ لِدَّلَالَةِ مَقَامِ الْخُطَابِ عَلَيْهِ. وَالتَّقْدِيرُ: فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ دَارُ عُقْبَاكُمْ. وللدلالة على أن النجاح والفوز لهؤلاء فقط دون غيرهم من الناس، فلن يتحقق لأحد فوز أو نجاح إلا من خلال الإتيان بتلك الصفات.

10- ذِكْرُ مَنْ كُلِّ: "بَابٍ"، كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ غَشْيَانِ الْمَلَائِكَةِ إِيَّاهُمْ بِحَيْثُ لَا يَخْلُو بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ لَا تَدْخُلُ مِنْهُ مَلَائِكَةٌ. ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الدُّخُولَ لَمَّا كَانَ بِجَلْبَةِ مَسَرَّةٍ كَانَ كَثِيرًا فِي الْأَمْكِنَةِ. وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْأَزْمَةِ فَهُوَ مُتَكَرِّرٌ لِأَنَّهُمْ مَا دَخَلُوا مِنْ كُلِّ بَابٍ إِلَّا لِأَنَّ كُلَّ بَابٍ مَشْغُولٌ بِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ فِي كُلِّ آنٍ⁽²⁾. المعتاد في الدنيا الدخول من باب واحد، ولكن هؤلاء في درجات عظيمة من التكريم لا تقوم لها الدنيا.

(1) أنظر تفسير مفاتيح الغيب، (35/19).

(2) أنظر تفسير التحرير والتنوير، (132-124/13).

ثالثاً/ الدلالات من آية الصلة وما يرتبط بها:

ولكي يحقق الإنسان الصلة بينه وبين الله ورسوله، وبين أرحامه وجميع عبادته، أن يحقق ما يلي: وهو ما يفهم من هذه الآيات.

1- وجوب الوفاء بالعهد: وهو يشمل كل حقوق الله وفرائضه، وحقوق العباد.

2- تحريم نقض المواثيق الإلهية والبشرية: فإذا عقد الإنسان عهداً في طاعة الله، أو مع الناس، لم يجوز نقضه.

3- وجوب صلة ما أمر الله به أن يوصل، بجميع حقوق الله تعالى، وحق النبي ﷺ وحقوق العباد، وذلك يتناول كمال الإيمان وجميع الطاعات .

4- الخوف من سوء الحساب: وهو الاستقصاء فيه والمناقشة، ومن نقض الحساب عذب.

5- الصبر بإخلاص لله تعالى على الطاعة، وعن المعصية، وعلى الرزايا والمصائب، والحوادث والنوائب.

6- إقامة الصلاة: وهو أدائها بفروضها وخشوعها في مواقيتها.

7- الإنفاق من بعض المال سرا وجهراً، بأداء الزكاة المفروضة والتطوع بالصدقات المندوبة في سبيل الله.

8- درء السيئة بالحسنة، أي الدفع بالعمل الصالح السيئ من الأعمال، كالتخلق بالأخلاق الطيبة في مواجهة أذى الناس، كالحلم في وجه الجهل، والصبر في وجه الأذى، ودفع الشر بالخير، والمنكر بالمعروف.

9- اتباع السيئة بالحسنة والعمل الصالح لحو أثرها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:114]

10- أعد الله تعالى للسعداء الطائعين عاقبة الآخرة: وهي الجنة بدل النار، وجنان عدن:

وسط الجنة، وأعلى الجنة، وسقفها عرش الرحمن.

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

11- يدخل الجنة مع المؤمن الصالح آباؤه وأزواجه وأبنائهم إن صدقوا وصلحت أعمالهم، وإن لم يعملوا مثل أعمالهم، وهذا تكريم من الله لأوليائه، لأن سرور المؤمن باجتماعه مع قراباته في الجنة، وحضور أهله معه.

12- التقييد بالصالح بقوله: "وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ..."، دليل على أن مجرد الأنساب لا تنفع، فلا تفيد الأنساب شيئاً إذا لم تقرن بالعمل الصالح.

13- زيادة في التكريم تدخل أفواج الملائكة من مختلف أبواب الجنة مهتة المؤمنين، ومبشرة لهم بالسلامة، قائلين لهم: "سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ": أي قد سلمتم من الآفات والحن، أو هو خبر بمعنى الدعاء، أي ندعو لكم بدوام السلامة، سلمكم الله، وهذا يتضمن الاعتراف بالعبودية.

14- استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الملك أفضل من البشر فقال: إنه سبحانه ختم مراتب سعادات البشر بدخول الملائكة عليهم على سبيل التحية والإكرام والتعظيم، فكانوا به أجل مرتبة من البشر، ولو كانوا أقل مرتبة من البشر، لما كان دخولهم عليهم لأجل السلام والتحية موجبا علو درجاتهم وشرف مراتبهم.

المبحث الثاني: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ فِي آصرة الدين:

إنّ قضية الصلة في أساسها قضية إيمانية نابعة من الإيمان بالله تعالى، فليست قضية عادة، ولا قضية أخلاق خالصة، ولا قضية ثواب وعقاب، لأن كل هذا ينتهي عند أول شدة أو صعوبة تقابل الواصل، وكذا عند أول اساءة تلحق به، ولكن الذي يضمن استمرار الصلة، وتحمل صعابها، والصبر عليها: هو الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَخْشَوْا رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝١١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴿فَجَمَعَ لَهُمُ الْخَوْفَ وَالْخَشْيَةَ وَالْإِخْلَاصَ لِلَّهِ، لِيُؤَكِّدَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْأَسَاسُ.

المطلب الأول: صلة النبي ﷺ في أصحابه وآل بيته:

إن شرط الإيمان بالنبي ﷺ وجوب محبته، ومن لوازم محبته ﷺ إكرام آل بيته وأصحابه. أما آل بيته ﷺ وهم الذين حُرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل عباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ وبناته. فإن الله تبارك وتعالى قال فيهم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: 33]، وقد قال ﷺ والذي نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم الله ولقرايتي⁽¹⁾، وفي صحيح مسلم عن يزيد بن حبان قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "... وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي"⁽²⁾، وعن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: "من كنت مولاه فعلى مولاه"، وفي لفظ: "اللهم والى من والاه وعاد من عاداه"⁽³⁾. وأزواج النبي ﷺ من آل بيته، "وإنما دخل الأزواج في الآل وخصوصاً أزواج النبي ﷺ تشبيهاً لذلك بالنسب، لأن اتصاهاً بالنبي ﷺ غير مرتفع، وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهن بالنبي ﷺ قائم مقام النسب"⁽⁴⁾.

وتحب صلة النبي ﷺ في آل بيته، ولذا فإن أهل السنة يحبونهم جميعاً ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، ويتقربون إلى الله بذلك، لأنها من محبة النبي ﷺ وإكرامه، وذلك بشرط أن يكونوا مستقيمين على الملة، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت، ومثل هؤلاء لهم حفظ وصية النبي ﷺ فيهم بالإكرام وحسن المعاملة، فالحب يكون للمؤمن منهم، ومن أحسن منهم مع النبي ﷺ، ولم

(1) أخرجه أحمد، (298/3 رقم 1776) قال الشيخ شعيب (رحمه الله) إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد .

(2) أخرجه مسلم، (4/1873 رقم 2408)، وأحمد (4/366، رقم 19285)، وابن حبان، (1/330، رقم 123)، والحاكم، (3/160، رقم 4711).

(3) أخرجه بن ماجه، (1/45 رقم 121)، والترمذي، (6/74 رقم 3713) وقال الترمذي بغير اللفظ الأخير - حسن غريب، وقال الألباني في الحكم على سنن ابن ماجه - صحيح.

(4) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، 751هـ، ص. 217، تحقيق، شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت، ط. 2، 1407-1987.

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

يؤمن نحب احسانه ولا نحب شخصه، كما هو حال أبو طالب مع النبي ﷺ، فإننا نكرهه لكفره، وكذا أبو لهب يجب علينا أن نكرهه لكفره ولا يذائه للنبي ﷺ⁽¹⁾.

وأما أصحابه ﷺ فقد قال ربنا تبارك وتعالى في حقهم: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَذَّتْ نَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:100]، قال ابن تيمية: "فرضي عن السابقين الأولين رضاء مطلقاً، ورضي عن التابعين لهم بإحسان"⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:18]، وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: "لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"⁽³⁾. ونختم بكلام ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسناً، وما رأى المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئاً"⁽⁴⁾.

(1) العقيدة الواسطية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (728هـ)، ص. 118، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود. أضواء السلف، الرياض، ط. 2، 1420هـ/1999م. حقوق آل البيت، ابن تيمية، (1/ 26-27)، تحقيق: عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(2) التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، أبو العباس أحمد ابن تيمية، ص. 236، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. 6، 1421هـ/2000م.

(3) أخرجه مسلم رقم: (2540)، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة .

(4) أخرجه أحمد، (6/ 84 برقم 3600)، قال الشيخ شعيب: إسناده حسن .

وصلة أصحاب النبي ﷺ بأن أهل السنة يحفظون فيهم وصية المصطفى ﷺ بوجوب محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم وإنزالهم المنزلة التي أنزلهم الله فيها، ولذلك سلمت قلوبهم من الغل عليهم، وألستهم رطبةً بذكرهم الجميل من الترحم عليهم والاستغفار لهم، ونشر محاسنهم، والشهادة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة منه، وأنهم كلهم عُذُول، صغارهم وكبارهم، ذكورهم وإناثهم من لا يس الفتن ومن لم يلابسها، حيث ثبتت عدالتهم بنص الكتاب والسنة والإجماع والمعقول، وأن من سبهم أو تعرض لهم بعيبٍ، أو طعن في عدالتهم فإنه يكفر بهذا؛ لأن هذا يؤدي إلى إبطال الشريعة بأكملها⁽¹⁾.

المطلب الثاني: وصل القول بالعمل:

بداية أقول: لماذا هذا المطلب تحت مبحث الدين وليس الأخلاق؟ والجواب: أن من عقيدة المسلم أن يكون عمله موثقاً بقوله، فإن من النفاق والخداع والكذب والخيانة، ومن أخطر صفات اليهود أن يكون الإنسان بقوله ومظهره أمام الناس في جانب، وعمله وباطنه بعيداً عن الناس في جانب آخر، ولذا حذرنا ربنا في تحذير شديد الخطورة بقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: 2-3]، قال القرطبي: "اسْتَفْهَامٌ عَلَى جِهَةِ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْيِيحِ، عَلَى أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَفْعَلُهُ. أَمَّا فِي الْمَاضِي فَيَكُونُ كَذِبًا، وَأَمَّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَيَكُونُ خُلْفًا، وَكَلاَهُمَا مَذْمُومٌ"⁽²⁾.

(1) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، 505هـ، (1/131) وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ - 2004م. شرح العقيدة الطحاوية، تح: جماعة من العلماء، تخرّيج: ناصر الدين الألباني (467/1). الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ص. 165. التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، عبد الله بن جرير، 1430هـ، ص. 175، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الأولى، 1416هـ.

(2) تفسير القرطبي، (80/18).

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

وهذه السمة في شخصية المسلم يؤكد القرآن عليها كثيراً، وتتابعها السنة في تكرار يريدها تأكيداً: يقول الله تعالى مندداً باليهود: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44]، ويقول تعالى مندداً بالمنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: 81]، ويقول فيهم كذلك: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 204-205]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ" (١).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ومن أخطرها ما رواه أسامة بن زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيُدَوِّرُ بِهَا كَمَا يَدَوِّرُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيُجْتَمَعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ" (٢)، ولعله استقاء من هذا النبع النبوي الطاهر الرائق امتنع الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الرواية من رجل سافر إليه مسافات شاسعة ليأخذ عنه حديثاً حينما وجدته يضم حجره ويدعو بغلته يوهمها بطعام وحجره فارغ! فتخرج أن يروي عنه، وقد كذب على بغلته! فهذا بناء أخلاقي دقيق نظيف لضمير المسلم وشخصيته التي تليق بمن يقوم أميناً على منهج الله في الأرض، وهو الأمر الذي تقرره هذه السورة وهذه حلقة من حلقات التربية في الجماعة المسلمة التي يعدها الله لتقوم على هذا الأمر (٣). فيجب على المؤمن أن يصل قوله بفعله - إيماناً بربه - ليكون قدوة للناس، ويقبل الله قوله، وإلا تحقق فيه قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

(١) أخرجه أحمد، (357/2)، رقم (8670)، والبخاري، (21/1)، رقم (33)، ومسلم، (78/1)، رقم (59).

(٢) أخرجه أحمد، (132/36)، رقم (21800)، ومسلم، (2290/4)، رقم (2989).

(٣) في ظلال القرآن، (191/17).

حتى قال: ﴿فَنَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: 175-176]، "فكذلك العالم الفاجر، فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات، فشبّه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلث إلى الشهوات، فقد شبّه الله من آتاه الله كتابه ولكنه لم يعمل به، بل عمل بخلاف ذلك بالكلب، كما شبّهه في آية أخرى بالحمار، فقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا النَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]"⁽¹⁾.

المبحث الثالث: وصل ما أمر الله به أن يوصل في آصرة الأخلاق:

وآصرة الخلق المراد بها صلة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، وهي تتمثل في علاقة الإنسان بأخيه في الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، وجميع الخلق، والتعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا. فكانه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر والأخوة⁽²⁾. ومعنى رعايته جميع الحقوق الواجبة للعباد، فيدخل فيه صلته بالرحم وصلته القرابة الثابتة بسبب أخوة الإيمان كما قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، ويدخل في هذه الصلة إمدادهم بإيصال الخيرات ودفع الآفات بقدر الإمكان وعبادة المريض وشهود الجنائز وإفشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الأذى عنهم⁽³⁾.

(1) إحياء علوم الدين، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (505هـ)، (60/1)، دار المعرفة، بيروت.

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (425م)، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي.

(3) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت. 606هـ)، (34/19)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. 3، 1420 هـ.

المطلب الأول: وصل الإيمان بالله ورسوله ببرّ الوالدين:

إنّ ممّا صحّ عن النبي ﷺ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قوله: "رَضِيَ اللَّهُ فِي رَضَى الْوَالِدَيْنِ. وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ"⁽¹⁾، وهذا يقطع الطريق، ويقصر المسافة، ويوضح الأمر: بضعف الإيمان أو بضياعه كلية لمن عاق والديه حتى ولو كانا على الشرك، قال تعالى: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۖ﴾ [لقمان: 14-15]، فيجب وصل الإيمان به. عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿ [لقمان: 14-15]، فيجب وصل الإيمان بالله ورسوله ببرّ الوالدين، وهذا واضح في كتاب جدّاً، حيث قرن ربّنا سبحانه بين توحيدهِ وعبودية وِبرّ الوالدين في آيات كثيرة من كتابه، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ إِلَهُكَ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا فَيَنْهَرُوكَ اللَّهُ لَبَّاسًا ۚ وَمَا تَذَكَّرْتَهُمَا فَاغْلُظْ وَلَا تَنكِهْهُمَا ۚ وَصَلُّ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ صِلَاكَ لِلرَّحْمَةِ ۚ وَأَقْصِصْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۖ﴾ [الإسراء: 23-24]، وفي تفسير الآية: "والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة، هي رابطة الأسرة، ومن ثم يربط السياق برّ الوالدين بعبادة الله، إعلاناً لقيمة هذا البر عند الله: "وبالوالدين إحساناً..."، بهذه العبارات الندية، والصور الموحية، يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة في قلوب الأبناء. ذلك أن الحياة وهي مندفعة في طريقها بالأحياء، توجه اهتمامهم القوي إلى الأمام إلى الذرية إلى الناشئة الجديدة إلى الجيل المقبل، وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء إلى الأبوة إلى الحياة المولية إلى الجيل الذاهب! ومن ثم تحتاج النبوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف، وتتلفت إلى الآباء والأمهات⁽²⁾.

(1) صحيح، أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" رقم: (2)، والترمذي رقم: (1899)، والبخاري في "شرح السنة" (رقم:

3423، 3424).

(2) في ظلال القرآن، (14/5).

ولقد وصف الله تعالى نفسه بالبرّ في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور:28]، وأمر سبحانه عباده بالبرّ فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:36]، حيث جعل الإحسان للوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها: أحما سبب وجود الولد، فلا إنعام بعد إنعام الله تعالى أعظم من إنعام الوالدين، وإن إنعامهما يشبه إنعام الله تعالى من حيث إهما لا يطلبان بذلك ثوبا، وإنه تعالى لا يمل من إنعامه على العبد وكذلك الوالدان. ووصف الله تعالى يحيى بن زكريا قبل ولادته بقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:14]، وذكر عيسى عليه السلام الصفات الكبرى التي أنعم الله عليه فذكر منها بره بوالدته: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ [مريم:32]⁽¹⁾. ولذا يجب على الأبناء أن يصلوا آباءهم بكل قوة حتى يرضى الله عنهم وإلا وقعوا في غضب الله وسخطه.

والبر هو: اسم جامع للخير وأصله الطاعة، اصطلاحاً: هو الإحسان إليهما بالقلب، والقول، والفعل تقريباً لله تعالى. وضد البرّ العقوق وهو: عصيانهما وترك الإحسان عليهما والخروج عليهما، اصطلاحاً: هو كل فعل يتأدّى به الوالدان تأدياً ليس بالهيئ، مع كونه ليس من الأفعال الواجبة⁽²⁾.

فالبرُّ كلمة جامعة لمعاني الخير والبذل والعطاء، وفيه إيصال الخير بقدر ما تستطيع، وكف الشر. إيصال الخير بالمال، وإيصال الخير بالخدمة، وإيصال الخير بإدخال السرور عليهما، من طلاقة الوجه وحسن المقال والفعال وبكل ما فيه راحتهما. والبر فرض عين بالإجماع على كل واحد من الناس، ولهذا قدمه النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله، كما في حديث ابن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله، أي العمل أحب إلى الله؟ قال: "الصلاة في وقتها" وقلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين" قلت: ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل

(1) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، ياسر عبد الرحمن، (26/2)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط. 1، 1428هـ - 2007 م.

(2) ينظر في القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، ص. 258، دار الفكر دمشق، ط. 2، 1408 هـ. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلجعي - حامد صادق قبيبي، ص. 48، دار النفائس، ط. 2، 1408 هـ - 1988 م.

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

الله" ⁽¹⁾، ولهذا كان القول الراجح وجوب خدمة الأب والأم على الأولاد إذا لم يحصل عليه بضرر، فإن كان عليه ضرر، لم يجب عليه خدمتهما، اللهم إلا عند الضرورة، ولهذا نقول: إن طاعتهما واجبة فيما فيه نفع لهما، ولا ضرر على الولد فيه، أما ما فيه ضرر عليه، سواء كان ضرراً دينياً، كأن يأمره بترك واجب، أو فعل محرم، فإنه لا طاعة لهما في ذلك، أو كان ضرراً بدنياً، فلا يجب عليه طاعتهما. أما المال فيجب عليه أن يبرهما ببذله إذا لم يكن عليه ضرر، ولم تتعلق به حاجة، والأب خاصة له أن يأخذ من مال ولده ما شاء ما لم يضر ⁽²⁾.

ونحن في هذه الإطالة لسنا بصدد جمع موضوع عن البرّ والعقوق، وإنما جمع نؤكد من خلاله أنّ الإنسان لا يستقيم له إيمانه بالله ورسوله ﷺ حتى يصله ببره بالوالدين، فلقد قرن سبحانه بين البرّ والعبودية في أكثر من موضع في كتابه، وأكد هذه حبيبه ﷺ في سنته، فليس هناك حق أو فرض أو واجب على العبد بعد الإيمان بالله ورسوله أوجب من برّ الوالدين، وليس لأحد من الخلق فضل عليك بعد رسول الله ﷺ من الوالدين، وكذا ليس هناك ذنب بعد الشرك أخطر وأعظم من العقوق، فلقد قال ﷺ عن أبي بكره رضي الله عنه: "أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَايِرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكَيِّفًا، فَقَالَ: وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتٌ" ⁽³⁾، وما أدري كيف يهنئ العاق بحياة بعدما أساء إلى من قدما إليه كل حياتهما بلا ثمن، وبعدها يعلم العقوبة التي تقع عليه من الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مریم: 14]، وقوله سبحانه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مریم: 32]، حيث قرن سبحانه بين العقوق والشقاء والتجبر، فليهنئ العاق بالشقاء في دنياه وآخرته -نسأل الله العافية-، وقد قال صلوات ربي وسلامه عليه عن أنس: "بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق" ⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ أخرجه أحمد، (1/421، رقم 3998)، والبخاري، (1/197، رقم 504)، ومسلم، (1/89، رقم 85).

⁽²⁾ مكارم الأخلاق، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ت. 1421هـ)، ص. 38، دار الوطن، ط. 1.

⁽³⁾ أخرجه البخاري، (3/172، رقم 2654)، ومسلم، (1/91، رقم 88)، وأحمد، (34/23، رقم 20386).

⁽⁴⁾ أخرجه الحاكم، (4/196، رقم 7350) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضاً: البخاري في الأدب المفرد، (1/308، رقم 894).

نسأل الله العليّ القدير: أن يرزقنا أفضل البرّ وحسن الإكرام، وأن لا يجرمنا عطفهما ورضاهما ودعاءهما، وأن يرزقهما العافية وطول العمر وحسن العمل، وحسن الخلق، وحسن الختام، وأن يكرمهما برفع الدرجات والمنازل في الدنيا والآخرة. اللهم آمينيين.

المطلب الثاني: بصلة الأرحام:

إنّ الرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة، هي رابطة الأسرة، ومن ثم يربط الله تعالى برّ الوالدين بعبادته سبحانه، ثم يربطهما برباط الرحم، إعلاناً لقيمة البرّ والصلة عند الله، وحتى يجمع شمل الأسرة، فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللّٰهُدٰىٓ اِلٰى سَبِيْلِ الْفَرْقِ وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسْكِيْنَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْاَجْنَبِ وَالصّٰحِبِ الْاَجْنَبِ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمٰنُكُمْ اِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36]، "هذه الفقرة تبدأ بالأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن إشراك شيء به... تبدأ بحرف عطف يربط بين هذا الأمر، وهذا النهي، والأوامر السابقة الخاصة بتنظيم الأسرة فيدل هذا الربط بين الموضوعين على الوحدة الكلية الشاملة المتكاملة في هذا الدين، فليس هو مجرد عقيدة تستكن في الضمير؛ ولا مجرد شعائر وعبادات تقام؛ ولا مجرد تنظيم دنيوي منقطع الصلة بالعقيدة، وبالشعائر التعبدية، إنما هو منهج يشمل هذا النشاط كله، ويربط بين جوانبه، ويشدها جميعاً إلى الأصل الأصيل، وهو توحيد الله والتلقي منه وحده دون سواه توحيده إلهاً معبوداً، وتوحيده سبحانه مصداً للتوجيه والتشريع لكل النشاط الإنساني أيضاً. لا ينفك هذا التوحيد عن ذاك على الإطلاق"⁽¹⁾. وهذا المعنى أكدته ربنا تبارك وتعالى في آية أخرى، فقال سبحانه: ﴿يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيْرًا وَنِسًاۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُوْنَ بِهِۦٓ وَالْاَرْحَامَ اِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلٰىكُمْ رَقِيْبًا﴾ [النساء: 1]: فقد "افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك، ويبيّن السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه أن: "رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ"

(1) في ظلال القرآن، (2/127).

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

ورزقكم، ورباكم بنعمه العظيمة، التي من جملتها خلقكم: "مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا"، ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب الداعي لتقواه تساؤلكم به وتعظيمكم،... وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به. وفي قوله: "وخلق منها رَوْحَهَا": تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فينبههم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب علاقة⁽¹⁾. حيث ربط سبحانه بين تقواه لأنه ربهم وخالقهم، وتقوى الأرحام والحذر من قطيعتها والأمر بصلتها وذلك لفضلها وعظمها وخطر أمرها. فقطيعة الرحم ذنب لا يبوء بإثمه مسلم استنار قلبه بهدي الإسلام، وفتحت نفسه على طاعة الله ورضوانه، فلا راحة ولا طمأنينة ولا سعادة في الدنيا والآخرة لقاطع، بل أوجب لنفسه اللعنة الدائمة، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ [محمد: 22-23]، قال القرطبي: "اختلف في معنى" إِنْ تَوَلَّيْتُمْ" فقيل: هُوَ مِنَ الْوَلَايَةِ. أَي: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَمْرَ الْأُمَّةِ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالظُّلْمِ. وقيل: الْمَعْنَى فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْمَعَاصِي وَقَطْعِ الْأَرْحَامِ. "أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ" أَي طَرَدَهُمْ وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. "فَأَصَمَّهُمْ": عَنِ الْحَقِّ "وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ" أَي قُلُوبَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ. "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ" أَي يَتَفَهَّمُونَهُ فَيَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلَّذِينَ لَمْ يَتَوَلَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ "أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" أَي بَلْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ أَقْفَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"⁽²⁾. إلى هذا الحد من الخطورة التي أكدها النبي ﷺ في قوله:

(1) تفسير السعدي ص.. 163 .

(2) تفسير القرطبي: (246/16) .

"الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّحْمَنُ شُحْنَةُ مَنْ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ"⁽¹⁾. وَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ: الرَّحْمَنُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى، يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقْرَءُوا إِنَّ شِئْنُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: 22]"⁽²⁾. (ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ): قَالَ الطَّبَّيُّ: أَتَى بِصِغَةِ الْعُمُومِ؛ لِيَشْمَلَ جَمِيعَ أَصْنَافِ الْخَلْقِ فَيَرْحَمَ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ وَالنَّاطِقَ وَالْبَهْمَ وَالْوَحْشَ وَالطَّيْرَ. والمعنى: ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ شَفَقَةً يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ تَفَضُّلاً⁽³⁾. وفي الفتح نقل ابن حجر: "قال بن أبي جمرة: "الوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه، والقطع كناية عن حرمان الإحسان"، وقال القرطبي: "فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكد أمر صلة الرحم، وأنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته". والمعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشبكية بها فالقاطع لها منقطع من رحمة الله"⁽⁴⁾.

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: "الرَّحْمَنُ الَّذِي تُوصَلُ وَتُقْطَعُ وَتُبْرُ إِنَّمَا هِيَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي لَيْسَتْ بِجِسْمٍ، وَإِنَّمَا هِيَ قَرَابَةٌ وَنَسَبٌ يَجْمَعُهُ رَحْمٌ وَالِدَةٌ، وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْإِصْطِلَاحُ رَحْمًا، وَالْمُرَادُ تَعْظِيمُ شَأْنِهَا، وَفَضِيلَةُ وَاصِلِيهَا، وَعَظِيمٌ إِثْمٌ قَاطِعِيهَا بِعُقُوبَتِهِمْ، لِهَذَا سُمِّيَ الْعُقُوقُ قَطْعًا، وَالْعُقُ الشُّقُّ كَأَنَّهُ قَطَعَ ذَلِكَ السَّبَبَ الْمُتَّصِلَ"⁽⁵⁾. ولذا يجب على المؤمن أن يصل رحمه ويبلها، "فالمسلم المرفه الحس، المتطلع إلى رضوان ربه وسلامة آخرته، لتزهه هذه النصوص من الأعماق؛ إذ تقرر أن قطيعه الرحم تحجب الرحمة، وترد الدعاء، وتحبط

(1) أخرجه أحمد، (11: 33 رقم 6494). الترمذي، (3: 388 رقم 1924) وقال حسن صحيح.

(2) أخرجه البخاري، (6/ 134 رقم 4830). مسلم، (4/ 1980 رقم 2554). أحمد، (14: 103 رقم 8367).

(3) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، (4/ 1014هـ)، (8/ 3113)، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1422هـ.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، (10/ 419)، دار المعرفة، بيروت، 1379.

(5) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، (676هـ)، (16: 112)، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1392.

وصل ما أمر الله به أن يوصل في سورة الرعد: دراسة موضوعية

العمل، وإنه لبلاء كبير يحقق بالمرء أن يدعو فلا يستجاب له، ويعمل فلا يرفع له عمل، وفيء إلى رحمة ربه فتبتعد عنه، ومن هنا لا يتصور أبداً أن يكون المسلم الحق قاطع رحم في يوم من الأيام، لأن قطيعة الرحم من الذنوب التي يجعل الله بها العقوبة، بل إنها في طليعة الذنوب التي يأخذ أصحابها بها في الدنيا قبل الآخرة، قال ﷺ: مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعْجَلَ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدْخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ⁽¹⁾. فقطيعة الرحم والبغي صنوان، ولذا قرهما رسول الله ﷺ في حديثه؛ ذلك أن قطيعة الرحم من الظلم، وأي ظلم أشد من تقطيع الوشائج، وفصم عرى المحبة، وتخفيف ينابيع الوداد؟! ومن هنا كان المسلم التقي الواعي واصلاً رحمه، لا تلهيه الدنيا، ولا المال ولا الزوجة والولد، عن تفقد ذوي رحمه وقربائه، وبرهم وإكرامهم ومعونتهم⁽²⁾.

قال النووي: وصلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك⁽³⁾. وقيل هي: الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا. وقطع الرحم ضد ذلك كله. يقال: وصل رحمه يصلها وصلاً وصلة والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر⁽⁴⁾.

(1) أخرجه أحمد، (36/5)، رقم (20390)، وأبو داود (276/4)، رقم (4902)، والترمذي (664/4)، رقم (2511) وقال: حسن صحيح.

(2) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي، ص. 109، دار البشائر الإسلامية، ط. 10، 1423 هـ.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، الإمام النووي، (201/2).

(4) لسان العرب، ابن منظور، (4851/4).

الخاتمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذا ما منّ الله به عليّ في هذا الباب، فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، وأسأل الله العافية.

ومن نتائج هذا البحث ما يلي:

- 1- سورة الرعد من السور المكية التي تعالج مسائل العقيدة، ومنها مسألة: صلة ما أمر الله به أن يوصل.
- 2- وجوب صلة ما أمر الله به أن يوصل في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وأن معنى الصلة: ضد الحجر، ويطلق على القرب، وإنّ معناها واسع يشمل صلة العبد بخالقه، ونبيه - صلى الله عليه وسلم -، وجميع العباد والمخلوقات.
- 3- إن الصلة ناتجة من نواتج الإيمان بالله تعالى، ولن تقبل الصلة، بل ولن تستمر، وتؤتي أكلها إلا إذا كانت ناتجة عن الإيمان بالله ورسوله ﷺ.
- 3- من صبر على الصلة وحافظ عليها كرمه الله في الدنيا: (بأن ييسط الله له في رزقه، ويطيّل له في عمره)، وفي الآخرة بجنت عدن ومن صلح من أهله.
- 4- وجوب صلة النبي ﷺ في آل بيته وصحابته.
- 5- من تمام الدين وصل القول بالفعل.
- 6- الدين حسن الخلق، ولن يكتمل إيمان العبد حتى يراعي حقوق الوالدين، والأرحام، والأقارب.

المصادر والمراجع:

- 01- المعتصم بالله البغدادي، ط.3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1416هـ - 1996م.
- الجوهري، الصحاح في اللغة، موافق، (120/5)، بدون بيانات النشر.
- 02- أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (1014هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط.1، بيروت، دار الفكر، 1422هـ.
- 03- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية 728هـ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م.
- 04- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط.2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ.
- 05- أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني (502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط.1، دمشق-بيروت، دار القلم - الدار الشامية، 1412هـ.
- 06- أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله 538هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط.3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ.
- 07- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- 08- أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م.
- 09- أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط.3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
- 10- أبو عبد الله محمد بن فرح القرطبي (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط.2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م .
- 11- أبي العز الحنفي 792هـ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية، 1418هـ.
- 12- أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (505هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- 13- أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية، 1418هـ.
- 14- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية 728هـ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، 1416هـ.
- 15- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية 728هـ، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ط.7، مجددة، بيروت، المكتب الإسلامي، 1426هـ.
- 16- أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379.

- 17- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتيبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة، 1379.
- 18- ابن حجر الهيتمي، الزواج عن اقتراح الكبار، ط.1، طبعة دار الفكر، 1407هـ - 1987م.
- 19- إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
- 20- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دون بيانات النشر.
- 21- هشام بن عبد القادر آل عقدة، مختصر معارج القبول، ط.5، مكتبة الكوثر الرياض، 1418هـ.
- 22- حافظ بن أحمد حكيم، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق/عمر بن محمود أبو عمر، ط.1، الدمام، دار ابن القيم - الدمام، 1410هـ.
- 23- ياسر عبد الرحمن، موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط.1، القاهرة، 1428هـ - 2007م.
- 24- يحيى بن شرف النووي (676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط.2، دار إحياء التراث العربي، 1392.
- 25- يحيى بن شرف بن مري النووي، شرح النووي على مسلم - المنهاج شرح صحيح مسلم، ط.2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1392.
- 26- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي 1393هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 52/7، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م.
- 27- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت. 1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (127/13)، الدار التونسية للنشر، 1984هـ.
- 28- محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي 666هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط.5، بيروت، المكتبة العصرية، 1420هـ - 1999م.
- 29- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط.2، القاهرة، دار السلفية، 1394هـ.
- 30- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية 751هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد محمد رواس قلنجي، معجم لغة الفقهاء، حامد صادق قنبي، ط.2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ - 1988م.
- 31- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية 751هـ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

- 32- محمد بن أحمد بن الأزهرى (370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط.1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.
- 33- محمد بن جرير الطبري 310هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط.1، مؤسسة 1420هـ-2000م.
- 34- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دون بيانات النشر.
- 35- محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، ط.1، بيروت، دار صادر، د.ت.
- 36- محمد بن سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، تقديم فضيلة الشيخ: عبد الرزاق عفيفي، ط.1، طبعة دار طيبة الرياض، د.ت.
- 37- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (543هـ)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط.3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م.
- 38- محمد بن علي الشوكاني 1250هـ، فتح القدير، ط.1، دمشق-بيروت، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، 1414هـ.
- 39- محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، ط.10، دار البشائر الإسلامية، 1423هـ .
- 40- محمد بن علي بن القاضي التهانوي (1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم
- 41- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (1250هـ)، فتح القدير، ط.1، دمشق-بيروت، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، 1414هـ.
- 42- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (1421هـ)، مكارم الأخلاق/ ط.1، دار الوطن، د.ت.
- 43- محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه، الإسكندرية، ط. دار عمر بن الخطاب الإسكندرية، (د.ت.)
- 44- محمد قطب، "لا إله إلا الله عقيدة وشرعة ومنهاج حياة"، طبعة دار الشروق، 2015م.
- 45- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.
- 46- سعدي أبو جيب، ينظر في القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط.8، دمشق، دار الفكر، 1408هـ .
- 47- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة: المفهوم، والفوائد، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقض، والنواقص، الرياض، مطبعة سفير، د.ت.
- 48- سعيد حوى، "الله جل جلاله"، وكتاب: "الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من علماء الغرب"، دون بيانات النشر.
- 49- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، بإشراف: أ.د. مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، 1431هـ- 2010م .
- 50- نخبة من العلماء، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط.1، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1421هـ.
- 51- نخبة من العلماء، كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية، 1421هـ.

- 52- عبد العزيز بن عبد الله بن باز 1420هـ، أصول الإيمان، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الحادية عشرة، ع.3، ربيع الأول، 1399هـ/1979م.
- 53- عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط.1، وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، 1422هـ .
- 54- عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، التوحيد للناشئة والمبتدئين، ط.1، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1422هـ.
- 55- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.
- 56- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب 1285هـ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص.12، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط.7، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1377هـ-1957م.
- 57- عبد الرحمن بن ناصر البراك، جواب في الإيمان ونواقضه، اعتنى به: عبد الرحمن بن صالح السديس، ط.1، دار التدمرية، 1473
- 58- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط.1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م.
- 59- شهاب الدين محمود الألوسي (1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ .
- 60- مسلم بشرح النووي، طبعة دار إحياء التراث العربي، 1392 هـ.
- 61- أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الامام البيهقي وموقفه من الالهيات، رسالة دكتوراة من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الثانية، 1423هـ/2002م.